

رحلة غطاء رأس المرأة من بابل الى بغداد (2000سنة)

المطران حبيب هرمز

مقدمة

نعيش في ثورة وقودها تصادم الرموز الثقافية والدينية. ورأس المرأة المثير والعجيب الذي الح ويلح عليه الملايين ليغطي هو احد ابرز هذه الرموز في عالم اليوم في العالم كله. ولأجل تسليط الضوء على جذوره التاريخية كان لي هذه الجولة ارجو ان اكون قد توفقت بها.

اول تشريع لغطاء الرأس

ان التركيز على اهمية شعر رأس المرأة هو ذو جذور قديمة تعود الى الآلف السادس قبل الميلاد في شمال العراق ربما سنطرق اليه في حلقة قادمة. ولكن تاريخيا اجدادنا كانوا سبب تشريع قانون لتغطية شعر المرأة. فإن اول اقرار رسمي نجده منشورا ضمن القوانين المحدثه لشريعة حمورابي (المادتين 40 و41) في فترة بين (1365-910ق.م) حيث كان قد اتحد الكلدان مع الآشوريين. وقد فرض القانون الصادر في بابل على كل امرأة حرة خارج البيت (الزوجة مثلا) ان تغطي شعر رأسها وكذلك الخادمة اذا سارت مع سيدتها والبغي اذا تحررت من البغاء وتزوجت.

ولكن كان السفور مسموحا للفتاة او الخادمة في المعبد او البغي، فقد سمح للفتاة ان لا تغطي شعرها كي تتعرف على الشاب لغرض الزواج. أما البغاء فكان يمارس في المعابد في المدن السبعة جنوب العراق، وكانت ممارسة البغاء لسببين: اولا لأداء طقوس وثنية للآلهة عشتار (آلهة الحب) وثانيا لتغطية مصاريف المعابد. اذا السبب في فرضه على البعض وعدم فرضه هو لتمييز المرأة المرتبطة بزواج عن الآخريات.

تغطية شعر المرأة في اليهودية

ينتقل تأثير القوانين البابلية الى الجزيرة قبل ميلاد المسيح لكونها تحت سيطرة البابليين فشملت سكانها الوثنيين واليهود. ويقول "ويل ديورانت" في "قصّة الحضارة" ان اليهود ايضا بعد شرعوا الحجاب حيث سمح لليهودي ان يطلق زوجته ان رفضت ان تتحجب. كما ان كتاب التلمود اليهودي (قسم المشنة) لم يمانع اليهوديات في الجزيرة العربية من ان يخرجن من البيت محجبات.

تغطية شعر المرأة لدى المقدونيين

ان سكان الموائى المقدونية (اليونان حاليا) كانوا يفعلون كما امر البابليون حيث كانوا يجبرون المرأة الوثنية المتزوجة بتغطية شعر الرأس، بينما العزباء او العابدة في معبد افروديت لا تجبر. هذا لأن بعض عمال السفن او حتى رجال المدن كانوا يأتون الى معابد افروديت ليمارسوا الجنس مقابل ثمن لتغطية مصاريق المعبد او لتقديم القران للإلهة. وسبب اجبار المتزوجات هو كي لا تخلق مشاكل مع عمال السفن التي ترسو في الموائى خصوصا في مدينة قورنثية (طالع رسالة مار بولس 1قور 11: 1-16). فهؤلاء العمال كانوا يبحثون ايضا عن بائعات الهوى في المدينة فيخلقن مشاكل بسبب التحرش بالنساء المتزوجات. لذلك كان يفرض على المتزوجة ان تغطي شعرها كعلامة ليمنع التحرش بها.



امراة يونانية مع غطاء للرأس

تغطية شعر المرأة لدى المسيحيين الأوائل

لا توجد في بداية عصر المسيحية سوى اشارات قليلة الى تحجب المرأة في منطقة الشرق الأوسط، فربما تحجبها كان بسبب تعميذ العائلة اليهودية او الوثنية فنقلت عادة اهلها الى الحياة الجديدة، او من باب التقوى، فإن ما ورد في رسالة مار بولس كان حالة خاصة ولظرف خاص.

نتيجة لظروف اليونانيين حصلت مشاكل في الكنيسة الأولى لأن حقيقة (الحرية في المسيح) التي اعلنها مار بولس فهمت سطحيا لدى البعض فقررت بعض المؤمنات المتزوجات الذاهبات الى الكنيسة عدم ارتدائه مما جعلهن محل حرشة من قبل بعض السابلة. وكانت بعض الجماعات اليهودية تتهم المسيحيين بممارسات لا اخلاقية في الكنيسة كرها لهم من جهة ولأن النساء يذهبن بدون غطاء الرأس من جهة اخرى، فطلب مار بولس منهن تغطية شعرهن . وكانت حجة اليهود الأخرى ان المسيحيين في وقت الصلاة يغلقون الأبواب، وفعلا كان المسيحيون يغلقون الأبواب كي لا يشارك الوثني في مائدة القديسين. كان هذا العمل مبعث للشك لدى اليهود والشرطة. وهذا الغلق كان بأمر من شيوخ الكنيسة. علما اننا الى زمن قريب كنا نطلب في القديس الكلداني هذا

الأمر (زل شاموعي وحزوا ترعيه، اي اذهبوا ايها السامعون ولاحظوا الأبواب) فالسامعون كانوا شمامسة اشبه بلجنة التشريعات اليوم وعملهم تنظيم جلوس المؤمنين ومراقبة الأبواب وإخراج من ليس معمداً قبل النطق بقانون الإيمان. ونتيجة لهذه المشاكل وتداول بعض النساء على تعليمات الكنيسة قرر مار بولس في رسائل أخرى لاحقة من المرأة وضع غطاء للرأس وان لا تعلم، وهذه كانت حالة خاصة كما نوهنا اعلاه.

وحسب ترتليانوس في كتاب العذارى عرف المسيحيون الأوائل غطاء الرأس عند الراهبات. وفي مصدر آخر كانت بعض النسوة المسيحيات يغطين أوجههن في حفلات الزواج في القرن الرابع وبلون ابيض، أو بلون اسود في احتفالات الحزن.



امرأة مسيحية ايام الإضطهادات في القرون الثلاثة الأولى وهي

تصلي مغطية رأسها (نحت في دياميس روما).

تغطية الوجه قبل الإسلام في الجزيرة وسورية

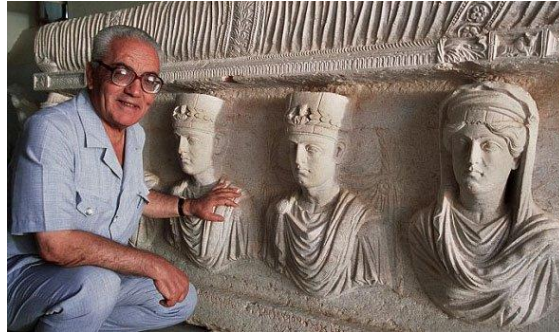
ورد ذكر غطاء وجه المرأة في الشعر العربي قبل الإسلام مرة بإسم (قناع) ومرة (خمار) وغيرها من الأوصاف. فالقناع يغطي كل الوجه بينما الخمار يبدأ من تحت العين الى الأسفل. والعديد من الشعراء تغنوا به، علما ان بعضهم كان مسيحيا والآخر لا، ومنهم: قيس ابن الخطيم و زهير ابن أبي سلمى و المهلهل ابن ربيعة و الحارث بن حلزة والشاعرالجاهلي الشنفرى وعوف بن عطية.

وعندما اعتنقت مملكة المناذرة في جنوب وادي الرافدين المسيحية في ايام النعمان بن المنذر في القرن الخامس والسادس الميلادي بدأ الإهتمام بتغطية وجه المرأة. ولدينا مثال وهو انه حدث ان دخل الى

الملك النعمان الشاعر النابغة الذبياني (535-605) فشاهدته زوجته الملكة وكانت سافرة فحجبت وجهها بذراعها. وبعد ان مدحها الشاعر غادر المملكة الى مملكة الغساسنة الى غير رجعة بسبب خجله منها.

وعندما اضطهد ملك سبأ اليهودي دنحاس المسيحيين في نجران¹، قتل قديسها الحارث بن كعب النجراني والآلاف من ابناء الكنيسة هناك - حيث تحتفل به الى اليوم الكنيسة اللاتينية - كما وذكره القديس يعقوب السروجي (ق 5) في احدى قصائده. وكانت لملك نجران زوجة اسرها القائد اليهودي ذي نؤاس وطلب منها ان تتحدث الى المسيحيات الأسيرات كي يتحولن الى الديانة اليهودية. لكن زوجة الملك رفعت الحجاب عن وجهها وطلبت منهن الإستشهاد لأجل المسيح.

وكان سكان تدمر (وسط سوريا) قبل الإسلام يعرفون تغطية الشعر بتأثير بابلي من الشرق ويوناني من الشمال الغربي. وكان اصل شعب تدمر قبل المسيحية من مصدرين جغرافيين: القادمين من الجزيرة اي عربيات التزمن بتغطية الشعر او الوجه والشعر وآراميات من سوريا الآرامية لم يتلزن. وفي معبد (بل أي بعل) الذي فجره داعش قبل سنوات قليلة كان هناك رسوم لנסاء غطين شعر رؤوسهن، وتقدر تلك الفترة بما بعد انتشار المسيحية وقبل الإسلام (اي القرون الميلادية الستة).



في عصر الإسلام

بعد ان تزوج الرسول العربي من زينب بنت جحش وردت آية قرآنية عن جلباب المرأة كما في سورة الأحزاب، ولو ان اغلب المفسرين المسلمين اهتموا في معنى كلمة الجلباب. اما في الحياة الإعتيادية فلم تكن المرأة تغطي وجهها بل فقط صدرها تجنباً للإثارة الجسدية خصوصا انها كانت تعمل مع الرجال وتتحنى والذي قد يؤدي الى حصول مشاكل في مواقع العمل بسبب ذلك. ويذكر كتاب القرآن الكريم

¹تقع جنوب غرب السعودية اليوم اي حوالي 150 كلم جنوب شرق مكة.

تغطية اجزاء من جسد المرأة في آية النور 31. ولكن في سنوات الحضارة العباسية في القرون 8-10، اقر الغطاء من قبل العباسيين ليصبح الحجاب كما نعرفه اليوم.

الختام

لاحظنا كيف بدأت فترة غطاء رأس المرأة لأسباب ميثولوجية قديمة جدا نتيجة لدور شعر المرأة السحري ثم تطورت لتصبح وسيلة لحل اشكالية اباحية الجنس لدى الذكور. كما تبين كيف ان للإمبراطورية الكلدوآشورية من خلال شريعة حمورابي المحدثه دور في التأثير على شعوب المنطقة.

ان ما حصل بعد ذلك هو لسبب اجتماعي وتقوي كي يرعوي الذكور وينتبهوا الى انفسهم ولا يتجاوزوا على الأنثى اللواتي اصلا كن بشر من الدرجة الثانية كما حصل في اليهودية وما بعده لولا تدخل المسيح الذي اعاد الى المرأة كرامتها.

اليوم لدينا دعوة لتجاوز هذه العقد التاريخية وامتلاك وعيش الحد الادنى على الأقل من متطلبات اخلاقية العقل البشري اي ان تحترم المرأة خصوصا وكل انسان عموما من حيث ان الله خلقه على صورته ومثاله ذكرا وانثى.

المصادر:

- مجلة المسرة اللبنانية: س 54، ع 539، 1968 .
ديورانت، ويل: قصة الحضارة، ت د. زكي نجيب محمود، بيروت، 1988.
رشيد، فوزي: الشرائع العراقية القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987.
قنواتي، جورج (الأب): المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، 1984.
موسوعات مختلفة.